

شروط البحث النفسي

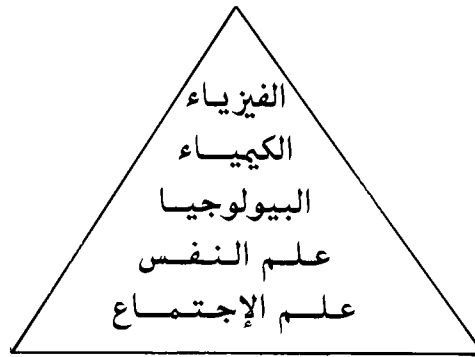
د. مصطفى عشوي
أستاذ علم النفس
جامعة الجزائر

مقدمة :

البحث النفسي فرع من فروع البحث العلمي التي تطورت تطوراً مذهلاً وما تزال تتطور منذ أواخر القرن الماضي ، حيث تعتبر سنة 1979 من طرف بعض المؤرخين النفسانيين بداية لظهور علم النفس كعلم مستقل عن الفلسفة من جهة وكعلم ذي خصائص ومميزات تفصله عن باقي العلوم من جهة أخرى (MUELLER 1979) . هذه السنة (1879) معلم رئيسي في تاريخ علم النفس لأنها بداية ظهور رواد علم النفس الحديث كفيغنر (FECHNER) وهلموتز (HELMHOLTZ) ووندت (WUNDT) وجيمس (JAMES) كما أن أول مخبر لعلم النفس الحديث قد بدأ نشاطه بليبنغ (ألمانيا) سنة 1889 وكان هذا المخبر الذي نشأ فيه علم النفس التجريبي مدرسة تخرج منها عدة سيكولوجيين ومنهم رواد علم النفس الأمريكيين مثل كاتل ، وقد ظهرت أول مجلة لعلم النفس سنة 1881 وذلك لنشر البحوث التي كانت تجري بالمخبر الذي كان يشرف عليه ووندت . وكان هذا الأخير يعتقد بأن المنهج التجريبي لا يمكن أن يكون منهجاً لدراسة جميع مواضيع علم النفس إلا أنه كان يتعقد - بالرغم من ذلك - امكانية دراسة هذه المواضيع دراسة موضوعية .

وفي الواقع ، فإن محاولة اخضاع مواضيع علم النفس للمنهج التجريبي قد ترتبت عن اعتبار العلوم الفيزيائية أرقى وأدق العلوم مما يؤهلها لتكون محكاً لقياس نضج العلوم الأخرى . وعليه ، فكما اقترب علم ما من المنهج الفيزيائي كلما كان أكثر دقة وضبطاً والعكس صحيح ، ولذا فقد حاول عدة باحثين غربيين (وندت وأوغست كونت ، ودوركايم) فصل العلوم الاجتماعية عن الفلسفة ودراسة المواضيع النفسية والإجتماعية دراسة فيزيائية مما أدى الى ظهور ما كان يسمى بعلم

النفس الفيزيائي والفيزياء الإجتماعية وذلك باعتاد التجريب والقياس في دراسة الظواهر النفسية والإجتماعية الا أن المواضيع النفسية والإجتماعية لا تخضع كلها لهذه المناهج المناسبة للظواهر الطبيعية مما أدى ببعض العلماء الى رفض النزعة الرديية (Reductionalism) وهي النزعة التي تعتبر الفيزياء - كما أشرنا الى ذلك - أدق العلوم وأنضجها ، وتعتمد الرديية على تفسير هرمي للعلوم وذلك برد أو تفسير العلوم التي تقع في قاعدة الهرم بناء على أسس وقوانين العلوم التي تقع في قمة الهرم . فعلم الاجتماع يفسر على ضوء أسس علم النفس وعلم النفس يفسر على ضوء علم الأحياء (البيولوجيا) ، وعلم الأحياء يفسر اعتادا على القوانين الكيميائية وهذه الأخيرة تفسر بناء على القوانين الفيزيائية (Simon et Meyer, 1979) .



(هرم النزعة الرديية)

- الأسس المعرفية والفلسفية لعلم النفس :

كان علم النفس قبل القرن التاسع عشر فرعاً من فروع الفلسفة شأنه في ذلك شأن كل العلوم التي كانت مرتبطة ارتباطاً شديداً بالفلسفة . وإذا تتبعنا تطور علم النفس فأننا نجد قد تطور من دراسة الروح الى دراسة العقل ثم الى دراسة السلوك وتتجلى أهمية تغير موضوع علم النفس من الروح الى العقل فالى السلوك في امكانية دراسة موضوع السلوك دراسة علمية في حين أن مفهوم الروح والعقل مفهومان فلسفيان غير قابلين للملاحظة المباشرة والتجريب وان كان مفهوم العقل أقرب الى البحث العلمي من مفهوم الروح . وفي هذا التوضيح يتجلى الفرق بين التناول العلمي والتناول الفلسفي . ان التناول الفلسفي يركز أساساً على دراسة المفاهيم والأفكار لصياغة اطار فلسفي نظري متناسق بينما يركز التناول العلمي على دراسة الظواهر دراسة ميدانية تطبيقية اعتادا على الملاحظة والبحث والتجريب وضبط مختلف المتغيرات وذلك بهدف شرح الظاهرة ووصفها أو التنبؤ بالظاهرة وما يرتبط بها من عوامل وظواهر أخرى (Simon 1979 and Meyer) .

وإذا تعمقنا في دراسة فلسفة المعرفة المرتبطة بعلم النفس فأننا نلاحظ جدالاً حاداً بين العلماء

حول مدى نضج علم النفس ، فالسؤال المطروح بقوة في هذا المجال هو : هل علم النفس ما يزال علما في طفولته باعتبار أنه لم ينفصل عن الفلسفة الا في نهاية القرن التاسع عشر أم أنه علم محكوم عليه بالبقاء في مرحلة الطفولة ؟ يتساءل (Kuhn) وهو من الباحثين المهتمين بفلسفة المعرفة - فيما اذا كان علم النفس ذا منهج واحد أو مناهج متعددة . وهل هو علم لم يصل بعد الى مرحلة النضج العلمي بحيث يعتبر تماما مثل علم الفلك قبل مئات السنين حيث كان مرتبطا بالتنجيم ولم ينفصل عنه الا مؤخرا ، وفي هذه الحالة فان علم النفس لا يمكن أن يكون علما بالمعنى الدقيق للكلمة كالفيزياء مثلا التي تبلورت كعلم مستقل ذي منهج نموذجي وفريد في البحث . ومما يذكره (Kuhn) في وصف العلم الدقيق هو أن هذا الأخير علم لا تاريخي أي أن العلوم الطبيعية عكس العلوم الانسانية سرعان ما تنسي تاريخها بحيث تهتم بحاضرها ومستقبلها . كما يؤكد نفس الباحث أن العلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية في كون ارتباط العلماء الاجتماعيين بالواقع اليومي وبمتطلبات وضغوط الحياة الاجتماعية والسياسية والأديولوجية أكثر من العلماء الطبيعيين . ومما يذكر أيضا لتدعيم فكرة عدم نضج علم النفس وغيره من العلوم الاجتماعية صعوبة تعميم النتائج التي يتوصل اليها الباحث الى عينات أو مجتمعات أخرى غير العينة أو المجتمع الذي أجرى عليه البحث وذلك عكس ما هو عليه الحال في العلوم الطبيعية حيث يسهل التعميم ووضع القوانين العلمية . وبالإضافة الى ما ذكر تطرح مشكلة التنبؤ بالسلوك والظواهر النفسية حيث إن التنبؤ ممكن في الظواهر الطبيعية اعتمادا على القوانين العامة وخاصة قانون التعميم . وفي الحقيقة فان هذه الانتقادات الموجهة لعلم النفس وغيره من العلوم الاجتماعية تنطلق أساسا من النزعة الرديئة التي شرحناها في المقدمة ، ورغم قوة الحجج التي يوردها أنصار هذه النزعة فان السيكلوجيين لم يستسلموا بل وجهوا لهذه النزعة انتقادات شديدة يوردها سيون وماير (1979) وتمثل هذه الانتقادات في نقطتين أساسيتين :

(1) - أن موضوع علم النفس هو دراسة العقل الذي لا يمكن تفسيره كعملية فيزيائية حيث إن الأفكار والأحاسيس والعواطف عبارة عن شيء أكثر من منطقة المخ المنشطة ، وفي الحقيقة فاننا نجد هنا موقفين فلسفيين حول طبيعة العقل وكل موقف يؤثر - بطبيعة الحال - في تناول العلمي المختار ، وهذان الموقفان هما :

(أ) - **الثنائية (Dualism)** : الثنائية عبارة عن موقف يرى بأن النشاط الذهني والنشاط الفيزيائي مختلفان . وتتفرع عن هذا الموقف ثلاث اتجاهات :

(1) - **التفاعلية** : وترى بأن الحالات الذهنية يمكن أن تنشأ وتسبب حالات جسمية والعكس صحيح .

(2) - **التوازن** : الحالات الذهنية والجسمية مترابطة ولكنها لا تتفاعل سببيا .

(3) - **الظاهرة الثانوية** : الحالات الجسمية تسبب حالات ذهنية والعكس صحيح .

(ب) - الواحدية (Monism) : وهو موقف يرى بأن النشاط الذهني والنشاط الجسمي شيء واحد أي نفس الشيء . ويتفرع عن هذا الموقف اتجاهان :

(1) - دعوى الهوية : وترى بأن النشاط الذهني والفيزيائي عبارة عن أسلوبيين للحديث عن شيء مادي (فيزيائي) واحد .

(2) - نظرية ثنائية الجانب : وتؤكد بأن النشاط الذهني والفيزيائي عبارة عن جانبين لشيء واحد ليس في حد ذاته ذهنيا ولا فيزيائيا .

(3) - النقد الثاني الموجه للنزعة الردية : يتل في التأكيد بأن هناك اختلافا جذريا بين المناهج المستعملة في العلوم الإجتماعية والمستعملة في العلوم الطبيعية ، ففي حين تدرس العلوم الطبيعية أشياء مادية فان العلوم الإجتماعية تدرس الإنسان الذي ينتهي الى ثقافة وقيم وعقيدة تجعله يختلف تماما عن موضوع العلوم الطبيعية .

واذا حاولنا أن نختصر الصراع القائم بين مختلف العلماء حول فلسفة المعرفة في اطار علم النفس فاننا نجد مدرستين كبيرتين تتفرع عنهما عدة مدارس فرعية :

(1) - المدرسة الأولى : تمثل مبادئها الأساسية في تفضيل المنهج الكمي ، الوضعية ، الموضوعية ، الميكانيكية ، الطبيعية ، التقنين ، التجريبية والحتمية .

(2) - المدرسة الثانية : وهي مدرسة تتبنى مواقف مناقضة لمبادئ المدرسة الأولى وتمثل مبادئها الهامة في تبني : المنهج الكيفي ، المنهجية الذاتية ، الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) اللاحقيقية (الحرية) والعقلانية .

ولا يخفى أن الانتماء الى احدى المدرستين تنبئ عنه عدة مواقف تتعلق بصياغة المفاهيم واجراء البحوث النظرية والميدانية وترتبط بالتقيد أو التحرر من الانتماءات الايديولوجية والعقيدية وقد أنجر عن انتماء السيكلوجيين الى احدى المدرستين ظهور مدارس سيكلوجية متباينة في مبادئها ومناهجها ويمكن ارجاع أسباب اختلاف وأسس المدارس التي ظهرت الى المواقف من الأسئلة المطروحة حول طبيعة العقل من جهة وحول طبيعة الإنسان نفسه وحول مكانة هذا الإنسان في الطبيعة لا يمكن أن تقلت من قيد الفلسفة وذلك رغم كل المحاولات المبذولة للارتكاز على المناهج العلمية لبحث هذه المواضيع . وقد ظهر ذلك جليا في ارتباط الموضوع الأول (طبيعة العقل) بعدة دراسات تناولت الأحاسيس ، العواطف ، التفكير وموضوع الوعي ، وارتبطت بالموضوع الثاني (طبيعة الإنسان) عدة دراسات ترجع أصولها الى الفلسفة اليونانية للاجابة عن أسئلة تتعلق بحرية الإنسان وارادته وبالحتمية والجبرية ، وارتبطت بالموضوع الثالث (مكانة الانسان في الطبيعة) مواضيع تتعلق بسلسلة الوجود وترجع أصول الاهتمام بهذا الموضوع من الناحية الفلسفية الى أفكار أفلاطون وأرسطو التي تهتم باستمرارية أشكال الحياة وارتباط هذه الأخيرة بكائن علوي . ومن الناحية العلمية تستند الدراسات المهمة بهذا

الموضوع الى نظريات وأفكار هكسلي وداروين وتهتم أساسا بدراسة البنية العضوية والأنواع والنشوء والارتقاء . وبالفعل ، فقد تأثرت الدراسات السيكولوجية ومناهج علم النفس عبر التاريخ بالمجالات المبذولة في المواضيع المذكورة أعلاه ، وهذا ما أدى الى ظهور مدارس سيكولوجية يحاول بعضها التحرر من المفاهيم والقيود الفلسفية ويتبنى المنهج التجريبي في البحث وبعضها ما يزال مرتبطا ببعض المفاهيم الفلسفية .

بعد هذه المقدمة التي تناولت بعض القضايا الفلسفية والمعرفية (الابستمولوجية) المرتبطة بتطور العلوم عامة وعلم النفس خاصة لا يسعنا الا أن نشير مبدئيا الى أن البحوث الإمريقية التي أجريت ولا تزال تجري في اطار علم النفس الحديث بفروعه المتعددة متأثرة الى حد كبير بالمواقف المعرفية المذكورة بنماذج الطبيعة البشرية المتبناة من هؤلاء الباحثين وأولئك وقد أصبح هذا التأثير الشعوري أو اللاشعوري كخلفية غير مرئية وغير مذكورة توجه البحوث النفسية بطريقة غير مباشرة لخدمة تصورات ونظريات وأسس فلسفية معينة .

ومع الأسف ، فانه غالبا ما يوجه الطلبة في جامعاتنا لاجراء البحوث الإمريقية لنيل رسائل الماجستير والدكتوراه دون اطلاع كاف على هذه الأسس والتصورات مما يجعل نتائجهم عبارة عن كومة من البيانات والمعلومات دون اطار نظري ينظمها بوعي . وعلاوة على هذا فان تعدد النماذج المتبناة حول الطبيعة البشرية قد أدى الى تعدد المناهج المتبعة في البحث النفسي بعضها يعتمد على التجريب والقياس وبعضها الآخر لا تتعدى حدود الوصف أو الدراسة المقارنة (دون تجريب) وأن استعان بالاحصاء أو دراسة الحالات وغير ذلك من المناهج وطرق البحث التي تبين لنا بوضوح بأن علم النفس - حسب المدرسة الميكانيكية - علم متعدد المناهج ومتعدد المواضيع وإن كانت دراسة الإنسان وعلاقته بالبيئة هي محور هذه المواضيع .

ومهما يكن ، فان علم النفس الذي كان عبارة عن علم نفس عام يدرس عدة مواضيع تتعلق بالذكاء والتفكير والخيال والذاكرة والادراك ، والشعور واللاشعور وغير ذلك قد أصبح يهتم بميادين عديدة ومجالات متنوعة وصلت الى تسعة وعشرين ميدانا من ميادين علم النفس التي تعترف بها الجمعية الأمريكية لعلم النفس (جلال 1985) .

والسؤال المطروح الآن هو : ما هي شروط البحث النفسي ؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال الذي هو محور هذه الدراسة ، وقبل تحديد المفاهيم المرتبطة بالموضوع نطرح سؤالا آخر ونحاول الاجابة عنه بسرعة لما يشكله ذلك من أهمية في اطار هذا الموضوع . السؤال هو : ما هي أهداف علم النفس ؟

يجيب زيماردو (1980) عن هذا السؤال موضحا أن من أهداف علم النفس ما يلي :

(1) - وصف ما يحدث من سلوك ونشاط وخبرات وذلك بجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالسلوك المدروس .

- (2) - تفسير ما يحدث من سلوك وذلك ضمن اطار ثقافي أو نموذج ما أو نظرية معينة .
- (3) - التنبؤ بما قد يقع من سلوك وذلك بناء على معلومات وخبرات سابقة وفهم ما بينها من علاقات لتصور علاقات بين متغيرات معينة .
- (4) - ضبط ما يحدث من سلوك وذلك للتحكم في مختلف المتغيرات ولتغيير بعض أنواع السلوك المنحرف .
- (5) - تحسين مستوى المعيشة وذلك بتغيير ما يحدث نحو الأفضل وذلك في مختلف المجالات الصحية والتربوية والاجتماعية وغير ذلك .

هذه أهم أهداف علم النفس الذي يمكن تطبيقه في ميادين ومجالات عديدة أشرنا الى أهمها وذلك لتغيير السلوك نحو الأفضل ولا يتم ذلك الا باتباع منهجية علمية في البحث تضع هذه الأهداف المشار اليها أو على الأقل بعضها كأهداف علمية وعملية بحيث يستفاد من هذا العلم في تهذيب السلوك وتخفيف آلام الإنسان وتغيير أوضاعه المتردية ورفع مستواه العلمي والحضاري في كافة الميادين الصحية والاقتصادية والتربوية .

- ميادين تطبيق علم النفس :

يذكر جلال (1985) بأن رابطة علم النفس الأمريكية لم تكن في سنة 1940 تعترف بميادين منفصلة في علم النفس ثم اعترفت في 1948 بستة عشر ميادانا ثم أصبحت تعترف حالياً بتسعة وعشرين ميادانا من أهمها : علم النفس الاكلينيكي ، علم النفس الصناعي والتنظيمي ، علم النفس التربوي ، العسكري ، العام ، الفسيولوجي ، المقارن ، التجريبي ، الاجتماعي ، التطبيقي ، الحيواني ، وغير ذلك من الميادين المرتبطة بالنشاط البشري في الادارة والمستشفيات كالاتصال والاعلام واعادة التربية والتوجيه المهني والمدرس والارشاد النفسي .

وبعد تحديد الأهداف العامة لعلم النفس كما يبين ذلك زمباردو ننتقل الآن الى تحديد بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بالبحث العلمي عامة وبالبحث النفسي خاصة .

تحديد المفاهيم :

يرتكز العلم في ميدان العلوم الاجتماعية - حسب رأي روسكو (1975) - على ثلاثة مجالات وهي : المعرفة العلمية (Scientific Knowledge) والنظرية العلمية (Scientific Theory) والبحث العلمي (Scientific Research) .

(1) - المعرفة العلمية :

يقصد بالمعرفة العلمية في هذا الاطار مجموعة الحقائق التي فحصت بأساليب علمية . والفرق

الوحيد بين المعرفة العلمية وباقي أنواع المعرفة - حسب روسكو - هو خضوع المعرفة العلمية للملاحظة الموضوعية المنظمة ، ونشر المعرفة العلمية التي لا ينبغي أن تكون حكرا على أحد فان ايصال هذه المعرفة الى باقي العلماء يعتبر شيئا ضروريا وذلك لأن النتائج العلمية في ميدان ما يجب أن تكون قاعدة للبحوث التالية . وبالإضافة الى ايصال النتائج الى علماء آخرين فان هذه النتائج ينبغي أن تخضع للبحث من طرف علماء آخرين لكي يتم التأكد من ثبات وصدق هذه النتائج ومدى شموليتها . إن هذا التحدي والفحص والتدقيق في شروط القياس ينبغي أن يكون عميقا وخاضعا لأدق المعايير والشروط وخاصة في ميدان العلوم الاجتماعية .

(2) - النظرية العلمية :

تعتبر النظرية الاطار الذي ينظم مجموعة الحقائق والنتائج التي توصل اليها باحث أو باحثون في ميدان ما بحيث يقدم هذا الاطار تفسيراً منطقياً لمختلف العلاقات الموجودة بين مختلف الظواهر بالإضافة الى امكانية وضع فرضيات انطلاقاً من النظرية لدراسة العلاقات الممكن ايجادها أو تصورها بين مختلف المتغيرات والظواهر الطبيعية أو الإنسانية وبالإضافة الى دور النظرية أو عملية التنظير في ترتيب وتركيب المعرفة العلمية المتوفرة فانها تمكن الباحث من تقديم التفسير المناسب للظاهرة المدروسة تفسيراً منطقياً لم يخضع بعد للفحص التجريبي أو البحث العلمي . ومهما يكن فان هذا التفسير ينبغي أن يكون خاضعاً لتأكيد أو لرفضه بطريقة علمية ببحث أمبريقي وإذا تحقق شرط امكانية اخضاع التفسير للتأكد أو للرفض فان النظرية في هذه الحالة تكون منبعاً للبحوث العلمية القيمة التي تمكن من انشاء منظومة فكرية تجيب عن عديد من الأسئلة وتقدم حلولاً لمشكلات كثيرة .

وإذا تعرضنا للبحوث الميدانية التي تجري في ميدان علم النفس بجامعةتنا مثلاً فاننا نجد انها اما تجري ضمن أطر نظرية تبلورت في بيئات مختلفة عن محيطنا الثقافي والحضاري أو لا تتبنى أي اطار نظري مما يجعلها بحوثاً لا تستند الى أي دعم نظري يؤهلها لتقديم تفسيرات وحلول لمشكلات عملية . ومهما يكن من نقائص البحث الميداني في هذه المرحلة فقد يكون خطوة ايجابية وانطلاقة حسنة لتراكم المعرفة العلمية التي قد تشكل قاعدة أساسية للتنظير .

وإذا كان البناء النظري من أهم الأعمال الابداعية للباحث فان عملية التنظير العلمي ليست بالعملية السهلة حيث تتطلب قدرة عالية على ادراك العلاقات بين مختلف المتغيرات من خلال منظور محدد قادر على التفسير من جهة والتنبؤ من جهة أخرى . وباختصار فان خصائص النظرية العلمية الجيدة كما يلخصها عدة باحثين مثل روسكو (1975) هي كما يلي :

(1) - ضرورة انسجام النظرية مع الحقائق المعروفة ، وتعتمد هذه الخاصية أساساً هاماً لتقبل النظرية من طرف أغلبية الباحثين . وعلى كل ، فان انعدام هذا الانسجام لا ينفي الأهمية

العلمية للنظرية حيث قد تكون هذه الأخيرة اطارا لعمل ابداعي في مجال جديد أو في ميدان قديم .

(2) - ينبغي ألا تشمل النظرية على أفكار متناقضة حيث يدل التناقض على انعدام الانسجام الداخلي للنظرية (Internal Consistency) .

(3) - ضرورة وضوح التفسيرات التي تقدمها النظرية بحيث يكون في استطاعة الباحثين الآخرين وضع الفرضيات المختلفة لفحص هذه التفسيرات بطريقة أمبريقية ويرى روسكو مثل بقية الباحثين الأمبريقيين بأن النظرية التي لا تخضع للفحص (الأمبريقي) لا تعتبر نظرية علمية ذلك لأن النظرية العلمية ينبغي أن تدعم بالبحث (الأمبريقي) .

(4) - من المستحسن أن تكون النظرية بسيطة قدر الامكان رغم تقديمها لتفسير عام لظواهر متعددة . ولتحقيق هذه البساطة يستحسن اعتماد لغة الأرقام في وصف الظاهرة بدلا من اللغة العادية .

(5) - القدرة على التنبؤ بالسلوك . فبالرغم من وقوع النظريات السلوكية في الخطأ عند التنبؤ فان الخطأ يكون قليلا أو صغيرا في حالة توفر النظرية الجيدة .

وإذا توفرت الشروط المذكورة في نظرية ما فان هذه النظرية تصبح اطارا للاستنتاج العلمي ومجالا لصياغة فرضيات قابلة للبحث الأمبريقي . وبالإضافة الى دور النظرية في تقديم تفسيرات عاملة للسلوك أو لظاهرة ما فانها أيضا توجه البحث العلمي لدراسة المواضيع ذات الأهمية العلمية والعملية . ومهما يكن من ايجابيات النظرية العلمية فان للنظرية أيضا حدودا وتقيّدات تتمثل أساسا في تعصب أنصار نظرية ما ورفضهم لأي معلومات وحقائق قد تناقض النظرية المتبناة وعلاوة على هذا فان علم النفس مثلا يزرخ بنظريات غير قابلة للرفض أو للتأكيد ونظريات أقل ما يقال فيها بأنها نظريات غير ناضجة ولا تتوفر فيها الشروط المذكورة أعلاه ومن أمثلة ذلك النظرية الفرويدية .

(3) - البحث العلمي :

يعتبر البحث الوسيلة المعتمدة من طرف الباحثين لجمع المعلومات وتحصيل المعرفة العلمية . ويكون البحث أكثر نفعا وانتاجية عندما يتم في اطار نظري معين ، ويعرف روسكو (1975) البحث العلمي بأنه الدراسة المنظمة الأمبريقية للعلاقات الموجودة بين مختلف المتغيرات . ويعتبر هذا التعريف الاطار المستحسن تصوره عند الشروع في بحث علمي معين ، ومن الممكن تقسيم المتغيرات الى فئتين كبيرتين : متغيرات كمية ومتغيرات نوعية ومن أمثلة المتغيرات الكمية الذكاء ، الوزن ، التحصيل الدراسي الخ ... ومن أمثلة المتغيرات النوعية الجنس والحالة الزوجية وغير ذلك .

وأغلب البحوث الامبريقية تتطلب تحديد المتغير المستقل والمتغير التابع ذلك لأن الباحث يرغب أساسا في التأكد من وجود أو عدم وجود علاقة بين متغيرين وطبيعة هذه العلاقة ان وجدت ، هل هي ايجابية أم سلبية وبأي درجة ؟ وهل هي مستقيمة أم انحنائية ؟ وقد يتحكم الباحث في المتغير المستقل كما هو الحال في البحوث التجريبية وقد لا يتحكم فيه كما يحدث في البحوث شبه - التجريبية وبالبحوث المسماة بـ (EXPOST FACTO) حيث يعتمد الباحث الى التنقيب عن العلاقات السببية الممكنة بين المتغيرات وذلك بملاحظة وجود بعض الارتباط بينها والبحث في بيانات سابقة عن عوامل سببية مقبولة . وعموما فان الباحث لا يستطيع التحكم في المتغيرات النوعية كالجنس مثلا وذلك لاستحالة التحكم لأسباب أخلاقية أو عملية كما لا يستطيع التحكم في بعض الظواهر الطبيعية كأثر الزلزال مثلا في الصحة النفسية وأثر الحروب في التفكك العائلي والاستقرار العاطفي .

وبصفة عامة فانه ينبغي للباحث التفتن للمتغيرات الثلاثة التالية عند اجراء البحث التجريبي .

- (1) - المتغيرات المستقلة التي يدرس تأثيرها .
 - (2) - المتغيرات المستقلة التي يجب ضبط تأثيرها .
 - (3) - المتغيرات التابعة التي ينبغي أن تلاحظ لتسجيل النتائج .
- وأخيرا فان البحث العلمي توجهه ثلاثة افتراضات أساسية وهي :
- (1) - أن الكون يتبع نظاما دقيقا لا يقوم على العفوية أو الفوضوية .
 - (2) - كل ظاهرة طبيعية أو انسانية لها تفسير معين من الممكن اكتشافه من طرف باحثين وعلماء أذكياء ، وكل سؤال يطرح ينبغي أن يجاب عنه أجلا أو عاجلا .
 - (3) - الحتمية (Determinism) وتمثل في الاعتقاد بأن لكل فعل أو أثر سبب ، وبناء على ذلك فان أي سلوك انما هو نتاج عوامل مسببة سواء كانت هذه العوامل مرتبطة بالفرد أو بحيطه أو بهما معا . ويرتبط بهذا المفهوم مفهوم آخر هو التنبؤ بالسلوك البشري اذا توفرت الشروط النظرية والعملية لذلك* .

ان هذه الافتراضات الثلاثة : النظام ، الاكتشاف والحتمية افتراضات أساسية في البحث العلمي وان لم تخضع نفسها للبحث العلمي فانها افتراضات تقوم على منطق الادراك العام للأشياء وكأنها أمور بديهية (Common sense) (روسكو ، 1976) .

بعد تحديد هذه المفاهيم الأساسية المرتبطة بشروط البحث النفسي ننتقل الآن الى استعراض الشروط التي ينبغي أن تتوفر في هذا البحث .

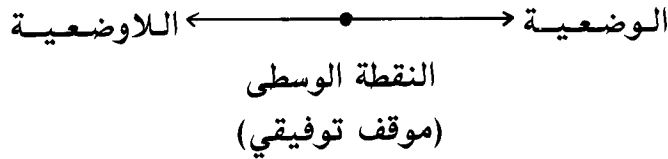
وبادىء ذي بدء ، فان البحث النفسي كباقي البحوث العلمية ينبغي أن يقوم على شروط أساسية . ومن أهم هذه الشروط : شروط معرفية (ابستمولوجيا) وشروط نظرية وشروط

قياسية ، وشروط تاريخية ، وشروط بيئية - ثقافية وشروط مادية .

1) - الشروط المعرفية (الابستمولوجية) والمنهجية :

نقصد بهذا المفهوم ما يسمى بنظرية المعرفة أو فلسفة العلوم ، وتبحث فلسفة العلوم في أهداف العلوم وحدودها وعلاقتها بعضها ببعض والقوانين التي تحكم تطورها وفلسفة العلوم ليست جزءا من العلم ذاته .. بل ان فلسفة العلم تجيء في صعيد وحدها لأنها حديث عن العلم وتعليق عليه «بدوي 1986) وكما هو معروف فان الصراع حول أسلوب تحصيل المعرفة بين أنصار المذهب الوضعي (Positivism) ومعارضيه هذا المذهب (Antipositivism) لم يحسم بعد في مجال العلوم الإجتماعية عامة بل وحتى في اطار المدرسة الوظيفية حيث يطغى المذهب الوضعي بتصوراته الميكانيكية وتناوله القائم على مفهوم «النسق المغلق» (Closed system) فقد ظهر تناول جديد يقوم على مفهوم «النسق المفتوح» (Open system) ويبتعد هذا التناول بمبادئه عن مبادئ النموذج الميكانيكي أو التصور الفيزيائي ويتبنى التناول البيولوجي للانساق والمنظمات وخاصة في مبدئه المسمى بتعدد المسارات (Equifinality) وقد أصبح هذا التناول الجديد يكتسب قاعدة في علم النفس الصناعي - التنظيمي مثلا .

ولعل في هذا الارتداد عن النزعة الردية (Reductinalism) ما يدعم مواقف الذين لا يرون بأن المنهج الوضعي هو المنهج الوحيد لتحصيل المعرفة وان تحدد موقفها في محور الصراع الابستمولوجي هذا المحور الذي وان كان ذا قطبين متباينين فانه ذو مسافات متعددة يمكن تصورها انطلاقا من القطبين الى وسط المحور حيث تشكل النقطة الوسطى موقفا توفيقيا ، بينما تشكل مجموع المسافات الواقعة الى يمين النقطة الوسطى - كما يبينه الشكل التالي - اتجاها أكثر ميولا نحو الوضعية والمسافات الواقعة الى شمال النقطة الوسطى اتجاها أميل الى اللاوضعية .



وإذا كان أغلب الباحثين في العلوم الاجتماعية مهما كانت انتماءاتهم العقائدية يتفقون على أن المنهج الوضعي سبيل لتحصيل المعرفة عن مختلف الظواهر الطبيعية والانسانية الا أنهم لا يتفقون - كما ذكرنا - على أن المنهج الوضعي هو السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة حول كل الظواهر الكونية المرئية وغير المرئية ، ولعل هذا الصراع حول فلسفة المعرفة هو الذي حدا بالفيلسوف الاسلامي الكبير ابن رشد الى وضع مؤلفه الشهير « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من

الاتصال» وعليه ، وكما يؤكد ابن رشد فانه لا تناقض بين الايمان بالغيب واتباع المنهج العلمي في البحث ، وبناء على هذا التأكيد ينبغي أن يوضح بأن علم الغيب هو «علم الهي» يستأثر به الله تعالى وحده دون غيره أما «الوحي» فهو ما كشفه الله من غيب وحكمة للرسل والأنبياء أما «علم المحسوسات» فهو العلم الذي يمكن للانسان تحصيله وذلك بواسطة المناهج المعروفة في البحث سواء كانت قائمة على الاستنباط أو الاستقراء أو على الجمع بين الاستنباط والاستقراء ، وذلك حسب ما يتطلبه موضوع البحث .

وبالنسبة للبحث العلمي في علم النفس فان منهج الاستقراء قد يصلح في مجالات علم النفس التجريبي حيث يمكن تطبيق المنهج التجريبي أما منهج الاستنباط فيصلح في عملية التنظير السيكولوجي وخاصة عند استخدام منهج الاستنباط - الاستدلالي ... ولا ينبغي أن ننساق - بدون شعور - وراء وهم فصل علم النفس عن الفلسفة انفصالا كليا وبالتالي نبذ المنهج الاستنباطي والسعي - غير الواعي - وراء تطبيق المنهج الاستقرائي دون جدوى خاصة عند استعمال المنهج الوصفي بطرقه المتعددة .

ومما يرتبط ارتباطا وثيقا بالموقف الابستيمولوجي في البحث العلمي عملية التنظير العلمي ، أي بناء النظرية العلمية .

- التنظير العلمي :

عندما تتوفر «النظرية العلمية» فان ذلك يشكل ضمانا للانطلاق في بحوث امبريقية جادة . ولكن واقع البحوث الامبريقية التي تجري في ميدان علم النفس بالجزائر مثلا ، وأظن أن الأمر كذلك في كثير من البلدان العربية - غالبا ماتجري ضمن أطر نظرية تبلورت في بيئات ثقافية مختلفة عن محيطنا الثقافي والحضاري أو لا تتبنى أي اطار نظري مما يجعلها بجوئا لا تستند الى أي دعم نظري علمي يؤهلها لتقديم تفسيرات وحلول لمشكلات عملية . ومهما يكن من نقائص في واقع هذه البحوث فانها قد تشكل - في هذه المرحلة - خطوة ايجابية نحو تراكم المعرفة العلمية التي ستكون قاعدة أساسية للتنظير العلمي .

واذا كان البناء النظري من أهم الأعمال الابداعية للباحث فان عملية التنظير العلمي ليست بالعملية السهلة حيث تتطلب قدرة عالية على إدراك العلاقات بين مختلف المتغيرات من خلال منظور محدد قادر على التفسير من جهة ، وعلى التنبؤ من جهة أخرى . وباختصار فان توفر النظريات العلمية شرط أساسي للبحث النفسي الجاد الذي ينبغي أن يقوم على نظريات تتوفر فيها مجموعة الخصائص التي حددت سابقا .

وبالاضافة الى مراعاة خصائص النظرية العلمية - كما يراها مناصرو المنهج الامبريقي القائم أساسا على الاستقراء - فاننا نشير الى أن كارل بوبر يعتبر «الحك الرئيسي للحكم على اخلاص

الباحث أو العالم في صياغته للنظرية هو المدى الذي يذهب اليه في عملية الاختبار والفحص الدقيق العنيف والبحث عن الحالات والشواهد التي قد تدحض تلك النظرية» «أبو زيد ، 1984» ذلك لأن صمود النظرية أمام عمليات الدحض والتفنيد - في رأي بوبر - هو الذي يحقق مصداقية النظرية أو الفرضية وليس عمليات جمع الشواهد المؤيدة للنظرية حيث قد يحدث أن يعثر الباحث أو غيره على حالة أو شاهد يناقض ما جمعه من الشواهد المؤكدة «أبو زيد ، 1984» .

ونظرا للعلاقة التكاملية الموجودة بين النظرية والتطبيق فقد كان التأكيد على وضع النظريات الى جانب التجريب من أهم المبادئ التي قام عليها معهد البحث العلمي بجامعة ميتشغان (الولايات المتحدة) حيث كان كورت ليفين أحد الباحثين البارزين في هذا المعهد . كان ليفين يؤكد التكامل الموجود بين النظرية والتطبيق ويلح في القول بأنه «لا يوجد شيء تطبيقي كنظرية جيدة» ، كما كان يقول : «لا عمل بدون نظرية ولا نظرية بدون عمل» . (Cannell, Kahn 1984) المطلوب اذن أثناء اجراء البحث العلمي الربط بين الاستنباط والاستقراء مما يستدعي ضرورة قيام الباحث بالانطلاق من اطار كلي الى دراسة جزئية ومن دراسة جزئية الى اطار كلي مما يضيف معنى على البحث العلمي ويعطيه بعدا كبيرا ، ذلك لأن أي بحث يقتصر على جمع البيانات دون إدماجها في نظرية مناسبة لا يعتبر عملا علميا جادا ، كما أن النظرية التي لا تخضع للفحص والبحث الامبريقي لا تعتبر نظرية علمية .

ومن بين العوامل التي تحول دون تحقيق البناء النظري العلمي اتخاذ الباحث لمواقف وأحكام مسبقة انطلاقا من تصورات أديولوجية أو اقتناعات ذاتية سواء كانت هذه المواقف أو الأحكام أو التصورات أو الاقتناعات شعورية أم لا شعورية . ولتدعيم هذا الرأي فان أية مراجعة لأي كتاب في علم الاجتماع أو علم النفس الاجتماعي أو علم النفس الصناعي التنظيمي مثلا تبين بوضوح تنوع الاتجاهات والمدارس الفكرية والفلسفية التي تسيطر على هذا «العلوم» ، ولعل هذا ما حدا بالباحثين باريل ومورغان (1980) على التأكيد أن كل نظريات التنظيم مؤسسة على فلسفة علم وعلى نظرية اجتماعية سواء كان منظرو هذه النظريات على وعي بذلك أم لا» وعليه فإن الاتجاهات الفلسفية والتأثيرات الأيديولوجية مما ينبغي - حسابه - وتوضيح موقف الباحث منه عند القيام بالبحث النفسي .

ان الصراع الدائر بين الباحثين الغربيين أنفسهم - في ميدان العلوم الاجتماعية - وخاصة في ميدان علم الاجتماع المعاصر لم يعد صراعا - كما يؤكد ذلك السمالوطي (1975) - «بين أنصار التنظير وأنصار الأمبريقية بقدر ما هو صراع إيديولوجي بين أنصار الاتجاه المادي أو الماركسي وبين أنصار الاتجاه الوظيفي في العالم الغربي» ذلك لأن أنصار الاتجاه الأول ينطلقون من بناء نظري مسبق يقوم في جوهره على المادية التاريخية في حين يرفض أنصار الاتجاه الثاني الالتزام

بصياغات نظرية مسبقة ، ويرون ضرورة الاعتماد على نتائج الدراسات الأمبريقية . ولكن هذا لا يعني أن أنصار الاتجاه الوظيفي لا يستندون الى أية مبادئ نظرية مسبقة ، فهم في الحقيقة يستندون ضمنا الى مجموعة من الفروض الخلفية مثل فكرة الحقوق الطبيعية والمبادئ النظرية البرجوازية .

وبناء على ما تقدم ، ينبغي للبحث النفسي في بلداننا أن يحدد اطاره المعرفي (الفلسفي) والنظري والايديولوجي وذلك كشرط لانطلاق هذا البحث على أسس واضحة وأهداف محددة .

- شروط قياسية (القياس النفسي) :

نعني بهذا المفهوم ضرورة قيام البحث النفسي على شروط القياس النفسي وهي : التقنين والثبات والصدق* تمثل مشكلة «الصدق» في البحوث النفسية جوهر النقاش حول دقة النتائج المتوصل اليها في البحث النفسي باستعمال مختلف المناهج المعروفة (الوصف ، التجريب ...) فهل المقاييس المستعملة (في القياس النفسي مثلا) تقيس مايراد قياسه وهل التصميم التجريبي - المستعمل في البحوث النفسية التجريبية القليلة - يخضع فعلا لشروط الصدق الداخلي وشروط الصدق الخارجي كما يحددها كامبل وستنلي (Campbell & stanley 1963) ؟ .

ولعل احتدام الجدل حول صدق فرضيات البحث النفسي هو الذي أدى بمجموعة من الباحثين النفسيين الأمريكيين (Wampold, & GOOD III C) الى نشر موضوع هام في مجلة (Consulting And Clinical Psychology) في شهر جوان (يونيو) من سنة (1990) حول : صدق فرضيات البحث الاكلينيكي . وقد تمت في هذا المقال مناقشة مختلف القضايا التي تهدد صدق الفرضيات مثل : عدم انسجام فرضيات البحث مع الفرضيات الاحصائية وغوض فرضيات البحث وتأکید صحة نظرية ما بناء على ظهور النتائج المتوقعة . وللتغلب على هذه المشكلات (التهديدات) يقترح الباحثون لتحقيق صدق الفرضيات اتباع المنهجية الآتية في عملية اختبار فرضيات البحث : على الباحث أن يستعمل جبلا متينا للنزول به من النظرية الى فرضيات البحث فالى الفرضيات الاحصائية وأخيرا الى نتائج الدراسة ثم التسلق بالنتائج مما يمكن الباحث من الانتهاء الى عبارة صادقة حول النظرية ، وإذا كان الحبل متأكلا في نقطة ما فان النتائج المحصل عليها (في الأسفل) تصبح قليلة الأهمية ، وتصبح وزنا اضافيا مزعجا أثناء عملية التسلق (العودة من الرحلة) !! (ص : 366) .

وبناء على ما تقدم ، فان توفر الشروط القياسية من تقنين وثبات وصدق وخاصة صدق المفهوم (CONSTRUCT VALIDITY) من الشروط الأساسية التي تشكل ضامنا قاعديا لأي بحث نفسي جدي مهما كان مجال هذا البحث النفسي (صحة نفسية ، صناعة ، تربية ، الخ ...) وذلك للعلاقة الوثيقة الموجودة بين النظرية العلمية وصدق المفهوم ، لما يشكله ذلك من أهمية في عملية صياغة

فرضيات ونظريات جديدة من جهة ، والوصول الى صياغة قوانين يمكن على ضوءها تعميم النتائج والتنبؤ بالسلوك من جهة أخرى . ودون تحقيق هذا الشرط فان نتائج البحث النفسي - وان كانت أميريكية - لا تتعدى كومة من البيانات التي لا تستند الى أي أساس نظري ، وبالتالي فانها تبقى نتائج لا طائل من ورائها .

- شروط تاريخية - بيئية :

ونعني بهذه الشروط مراعاة خصائص الظاهرة النفسية في أبعادها المكانية والزمانية فالظاهرة النفسية مثل باقي الظواهر الإنسانية لا تستطيع التحرر من تاريخها ، وعليه . ينبغي للبحث النفسي أن يراعي الأبعاد الزمانية (الماضي ، الحاضر ، والمستقبل) للظاهرة النفسية المدروسة ، كما ينبغي أن يراعي البعد المكاني أي الموقع الجغرافي الذي تحدث فيه الظاهرة وتفاعل البعد الزماني مع البعد البيئي للظاهرة . ومراعاة هذه الأبعاد ليس تقييدا للبحث النفسي بعوامل قد تبدو ذاتية بقدر ما يشكل ذلك ضمانا لقيام البحث النفسي على الوعي بهذه الأبعاد التي تؤثر في مصداقية البحث دون التفتن لها ، الشيء الذي يشكل العقبة الأساسية أمام عملية التعميم وأمام عملية صياغة القوانين في اطار العلوم الاجتماعية عامة !!

ولعل مراعاة هذه الشروط هو خير ضمان لارتباط البحث النفسي بواقع نفسي - اجتماعي معين ، ذلك لأنه لا مفر من ارتباط البحث النفسي بالواقع ، كما أنه لا مفر من ارتباط الجانب النظري في البحث النفسي بجانبه التطبيقي والعكس صحيح ، والا فان البحث النفسي يصبح ضربا من ضروب الدراسات الأكاديمية التي تتخذ من الأبراج العاجية سكنا لها أو شكلا من أشكال الدراسات ما قبل السيكلولوجية أو غطا من أغاط الباراسيكلوجيا .

- شروط ثقافية - إجتماعية :

ترتبط وتتفاعل الشروط البيئية - التاريخية مع الشروط الثقافية - الاجتماعية حيث تتشكل الظاهرة النفسية في اطارها ، ويقوم البحث النفسي أيضا في اطارها . وتقصد بالشروط الثقافية - الاجتماعية مجموعة الظروف والمواقف التي ينبغي ضمانها لقيام بحث نفسي جدي ذي أهداف محددة قد تكون علمية أو عملية أو علمية وعملية في نفس الوقت .

فهل المؤسسات التربوية (الكليات والجامعات مثلا) توفر مناهج دراسية تمكن الطلبة في مختلف المستويات من تلقي المعلومات الكافية والمنهجية الضرورية والتدريبات الأساسية والتخرج بمستوى علمي يؤهلهم للحياة العلمية ؟ وهل المؤسسات الاقتصادية وغيرها من المؤسسات المستخدمة للسيكلولوجيين (مستشفيات ، مراكز صحية ، معاهد تربوية ، مصانع الخ ...) على دراية بما يمكن أن يقدمه البحث النفسي من خدمات لحل المشكلات السلوكية في

مختلف المجالات التي يغطيها علم النفس بتخصصاته المتشعبة ؟ وهل الجامعات في البلدان العربية متفتحة على محيطها الثقافي والاقتصادي لاقامة علاقات وتعاقدات علمية مع هذا المحيط للاسهام في حل المشكلات السلوكية التي تعترض مختلف المؤسسات والمنظمات ؟ وهل هذه الأخيرة متفتحة على الجامعة بهدف تشجيع البحث النفسي وتوجيهه لتقديم الحلول والخدمات اللازمة لتحقيق فعالية أداء هذه المؤسسات سواء كانت صحية أم تربوية أم صناعية ؟ وهل يفهم المجتمع الدور الأساسي للبحث النفسي ، وما يمكن أن تقدمه السيكولوجيا من حلول واستشارات في مجالات كثيرة تتصل اتصالا وثيقا ببنية المجتمع ووظائفه المتعددة والمعقدة ؟ وهل تقوم وسائل الاعلام المختلفة بدور توعية المجتمع بأهداف علم النفس ؟

ان طرح هذه الأسئلة والاجابة عنها بصفة منهجية - وان تطلب الأمر اجراء بحوث نفسية من أجل تحقيق ذلك - شرط أساسي وضمان قاعدي لانطلاق البحث النفسي ، وتحقيق فعالية هذا البحث في تغيير الأوضاع تغييرا ايجابيا سواء كان ذلك على المستوى الفردي أم التنظيمي أم المجتمعي ، أم في كل هذه المستويات ؛ فانطلاق البحث النفسي وتحقيق فعاليته يتطلب اعداد بيئة تربوية وثقافية ملائمة وذهنية متفتحة ومتقبلة لشروط البحث النفسي والا فان البحث النفسي وما يتخض عنه من نتائج تبقى حبسة جدران الكليات ورهينة رفوف المكتبات ! ولعل مايرتبط بهذا النوع من الشروط أيضا تشجيع حركة الترجمة ، وذلك بترجمة المراجع والمصادر الأساسية في : مناهج البحث ، والقياس النفسي ، وتصميم الاختبارات والروايز وملخصات الرسائل والاطروحات والمجلات المتخصصة دون اغفال عملية التأليف وإصدار المجلات المتخصصة في علم النفس بمجالاته المختلفة ، وتشجيع الباحثين للقيام بعملية الترجمة والتأليف ، ولا يتأتى ذلك - طبعاً - الا بتسهيل عمليات الطبع والنشر ومايرتبط بها من اجراءات وقوانين قد تكون في كثير من الأحيان معرقة للبحث العلمي بطريق مباشر أو غير مباشر .

- شروط مادية :

تمثل أساسا هذه الشروط بالاضافة الى ما ذكر سلفا في توفير مدعمات البحث العلمي من مخابر لعلم نفس (الفسولوجي ، التجريبي الخ ...) ومصادر متخصصة بمختلف اللغات والمجلات والدوريات المتخصصة ، بالاضافة الى ضمان الشغل للمتخرجين وإرسال المتفوقين منهم في بعثات لاتمام الدراسة في جامعات ومعاهد متخصصة سواء كان (لدورات) تدريبيه أم لاعداد الأطروحات والبحوث المتعمقة ، كما ينبغي تشجيع البحث النفسي بتقديم المكافآت ورصد الجوائز للبحوث في هذا الميدان سواء كان ذلك على المستوى الوطني (القطري) أم القومي أم العالمي .

خاتمة :

ان ضمان الشروط المذكورة أعلاه يضمن في حد ذاته بيئة ملائمة للبحث العلمي بصفة عامة بحيث تشكل هذه البيئة بدورها قاعدة مناسبة للبحث النفسي أيضا . ولاشك أن هذه البيئة العلمية تشكل الضمانات الأساسية للبحث النفسي وذلك في شكل تصميم برامج (مناهج) دراسية جامعية متخصصة ، وفي شكل جمعيات ومؤسسات لترقية البحث النفسي وتأصيله وتشجيع الابداع في مجالاته ، وفي شكل قوانين تنظم البحث النفسي ، وتقنن واجبات وحقوق المختصين في هذا الميدان وتضمن لهم الشروط الموضوعية (المادية والمعنوية) لدفع عجلة البحث النفسي على أسس متينة وقواعد سليمة لكي يحقق الأهداف المرسومة له في مختلف المجالات الصحية والاقتصادية والتربوية والاعلامية والعسكرية والمعرفية وغير ذلك من مجالات علم النفس المتعددة .

الهوامش

☆ أنظر (Roscoe T.J (1975)

. The University of Michigan. American Psychologist, 1984, 39 1256-1266

لمزيد من التفاصيل انظر : Anastasi, A Psychological Testing (4 th.ed)

. Mac Millan Publishing Co INS New York 1976

أ) المراجع والمصادر العربية :

- أبو زيد أحمد : كارل بوبر بين منهج العلم ، وفلسفة «المجتمع المفتوح» مجلة العربي مارس 1984 ص : 81 - 85 .
- بدوي أحمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان بيروت : 1982
- جلال سعد : المرجع في علم النفس القاهرة 1985 .
- السالوطي نبيل محمد توفيق : الأديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية : 1975 .

ب) المراجع الأجنبية :

- BURRELL, G. Morgan. G. Sociological Paradigms and Organizational Analysis . HEINEMANN, London : 1882.
- CAMPBELL, D.T. Stanley, J.C. Experimental and Quasi – Experimental Designs for Research. Skokie, III. Rand Mc Nally. 1963
- CANNELL, F.C. & KAHN, L.R. Some Factors in Origins and Development of the Institute for Social Research, the University of Michigan, American Psychologist, 1984, 39, 1256 – 1266
- KUHN, T.S. The Structure of Scientific Revolution (2nd.ed) University of Chicago Press, Chicago : 1970
- MUELLER, G.C. Some Origins of Psychology as Science. Ann. Review of Psychology, 1979. 30, 9 – 29.
- ROSCOE, T.J. Fundamental Research Statistics for the Behavioral Sciences. Holt, Rinhart and Winston, INC., New York: 1975.
- SIMON, W.T., & Meyer, E.M. Methodological and Philosophical Foundations of Psychology (in Foundations of Contemporary Psychology: Meyer ed.). Oxford University Press. New York: 1979.
- VAMPOLD, E.B., Davis, B., & Good III H.R. Hypothesis Validity of Clinical Research. Journal of Consulting and Clinical Psychology. 1990. Vo. 58, N° 3, 360-367.
- ZIMBARDO, G.P. Essentials of Psychology and Life (10 ed.) Scott, Foresman and Co. Dallas: 1980.